

من كنوز مواظظ ابن الجوزي

دموع الخشية تمحو الخطايا .. والندم واجب على صاحب الذنب

الحكمة متحة ربانية جليلة يؤتيها من يشاء «ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وقد رُحِر التاريخ الإسلامي برجال من الله تعالى عليهم بأن أجرى الحكمة على الستتهم ونخلقت بها شفاهم متأسين في كلامهم بسيد الحكماء محمد صلى الله عليه وسلم، ومن هؤلاء الحكماء العالم الرباني ابن الجوزي رحمه الله، وهذه جملة من الحكم والوعاظ التي أترت عن هذا الحكيم نفعنا الله واياكم بها؛ الذنوب تغطي على القلوب، فإذا انظلمت مرآة القلب لم يبن فيها وجه الهدى، وعن علم ضرر الذنب استنصر الندم.

يا صاحب الخطايا.. أين الدموع الجارية، يا أسير المعاصي ابك على الذنوب الماضية، أسفا لك.. إذا جاءك الموت وما أتيت، واحسرة لك إذا ذهبت إلى التوبة فما أجبت، كيف تصنع إذا شودي بالرحيل وما تأميت، ألتست الذي بارزت بالكناثر وما راقت؟

أسفا لعديكمذا كثرت أوزاره قل استغفاره، وكلما قرب من القبور قوي عنده القفور، اذكر اسم من إذا أطعته أقامك... وإذا أتيتك شاكرا زائدك.. وإذا خدمته أصلح قلبك وفؤادك أيها الغافل ما عندك خير منك؟ فما تعرف من نفسك إلا أن تجوع فتاكل، وتشبع فتنام، وتغضب فتخاصم، قيم تميزت عن البهايم! واعجبا لك! لو رأيت خطا مستحسنا لرقم لأدركك الدهش من حكمة الكاتب، وأنت ترى رقوم القردة ولا تعرف الصانع، فإن لم تعرفه بثلث الصنعة فتعجب، كيف أعنى بصيرتك مع رؤية يصرف!

يا من قد وهي شبابه، وامتلا بالزلل كتابه.. أما بلغك أن الجلود إذا استشهدت نطقا! أما علمت أن النار للعصاة خلقت! أنها لتحرق كل ما يُلقى فيها، فتذكر أن التوبة تحجب عنها، والدمعة تطفئها.

سلوا القبور عن سكانها، واستخبروا السحود عن قطانها، تخبركم بخشونة المضاجع، وتعلمكم أن الخسرة قد ملأت المواضع، والمسافر يود لو أنه راجع، فليتعظ الغافل وليراجع.

يا مُطالبيا بأعماله، يا مسؤولا عن إفعاله، يا مكتوبا عليه جميع اقواله، يا مناقشا على كل أحواله، تسبناك لهذا امر عجيب!

أن مواظظ القرآن ذئيب الحديد، وللفهم كل لحظة زجر جديد، وللقلوب التيرة كل يوم به وعيد، غير أن الغافل يئلوه ولا يستفيد كان بشر الحافي طويل السهر يقول: أخاف أن يأتي أمر الله وأنا نائم من تصور زوال الحن وبقاء الفناء هان الابتلاء عليه، ومن تفكر في زوال اللذات وبقاء العار هان تركها عنده، ما يلاحظ العواقب إلا بعصر نابق.

عجبا لمؤثر القافية على الباقية، وللبائع البحر الخضم يساقية، ولخُتار دار الفكر على الصافية، ولقدح حب الأرض على العافية. قدم علي محمد بن واسع ابن عم له فقال له: من أين أقبلت؟.. قال، من طلب الدنيا، فقال: هل أبركتها؟ قال لا، فقال: واعجبا! أنت تطلب شيئا لم تدركه، فكيف تترك شيئا لم تطلعه. يُجمع الناس كلهم في صعيد، ويتفلسون إلى شقي وسعيد، فقوم قد حل بهم الوعيد، وقوم يفتانهم نرمة وعيد، وكل عامل يغترف من مشربه.

كم نظرة تحلو في العاجلة، مرارتها لا تطاق في الآخرة، يا ابن آدم فليك قلب ضعيف، ورائع في إطلاق الطرف رأي سخيف، فكم نظرة محقرة زلت بها الأقدام يا ظلل الهوى! متى يؤنس منك رشد، عينك مطلقة في الحرام، ولسانك مهمل في الآثام، وجسدك يتعب في كسب الحطام.

أين ندمك على ذنوبك؟ أين حسرتك على

عيوبك؟ إلى متى تؤذي بالذنب نفسك، وتضع يومت تضيعك أمست، لا مع الصادقين لك قدم، ولا مع الثائنين لك ندم، هلا بسطت في الدجي يدا سائلة، وأجريت في السحر دموعا سائلة، تحب أولادك طيعا فاحجب والديك شرعا، وارع أصلا ثم فرعا، واذكر لطفهما بك وطيب المرعى أولا وأخيرا، فتصدق عنهما أن كانا سيئين، واستغفر لهما واقض عنهما الدين من لك إذا ألم الألم وسكن الصوت وتمكن الندم ووقع الفوت وأقبل لأخذ الروح ملك الموت وثرات منزلا ليس بمسكون؟ فيا أسفا لك كيف تكون أهوال القبر لا تطاق؟

كان القلوب ليست منا، وكان الحديث يعني به غيرنا، كم من وعيد يخرق الأذان.. كأنما يعني به سوانا.. أصمنا الإعمال بل أعمانا. يا ابن آدم فرح الخطيئة اليوم قليل، وحزنها في غد طويل، ما دام المؤمن في نور التقوى، فهو يصير طريق الهدى، فإذا أطبق غلام الهوى عدم النور انتبه الحسن ليلة فبكي،

فضح أهل الدار بالكباء فسألوه عن حاله فقال: ذكرت دنيا فبكيت! يا مريض الذنوب ما لك دواء كالبراء يا من عمله بالتفاق مغشوش، تترزين للناس كما تزين المتقوش، إنما يُنظر إلى الباطن لا إلى النقوش، فإذا همت بالمعاصي فاذكر يوم النعوش، وكيف تحمل إلى قبر بالجنجل مفروش.

الك عمل إذا وضع في الميزان زان؟ علك قشر لا لب، واللب يثقل الكفة لا القشر رحم الله أعظما- تصبى في الطاعة وانتصبت، جن عليها الليل فلما تمكن وثبت، وكلما تذكرت جهنم رهبت وهربت، وكلما تذكرت دنوبها تاحت عليها ونديت، يا هذا لا نوم أثقل من الغفلة، ولا رق أملك من الشوة، ولا مصيبة كموت القلب، ولا تنذير أبلغ من الشيب إلى كم أعمالك كلها قباح، أين الجد الي كم مزاح، كثر الفساد فابن الصلاح، ستغرق الأرواح الأجساد أما في غدو وأما في رواج، وسيختو البلى بالوجوه الصباح، آقي

هذا شك أم الأمر مزاح.. فليجلا المعاصي إلى حرم الانابة، وليطرق بالأسحار باب الاجابة، فما صدق صادق فرد، ولا أتى الباب مخلص فصد، وكيف يُرد من أسدعني؟ وأما الشأن في صدق التوبة.

الأيام مطايا بيدها أزمة ركبائها، تنزل بهم حيث شاءت، فبينما هم على غوار بها اقتنهم فوطئتهم بيماسمها.

التنظر النظر إلى العواقب، فإن اللبيب لها راقب، أين نعب من صام الهو جر؟ وأين لذة المعاصي الفاجر؟ فكان لم ينعب من صابر اللذات، وكان لم يلد من نال الشهوات، جيلت القلوب على حب من أحسن إليها، فواعجبا ممن لم ير محسنا سوى الله عز وجل كيف لا يميل بكليته إليه احذر نثار النعم فما كل شارد يبرود، إذا وصلت اليك أطرافها فلا تنكر اقصاعها بقلة لتكر.

يا هذا، ماء العين في الأرض حياة الزرع، وماء العين على الخد حياة القلب.



يا طالب الجنة.. بذنب واحد أخرج أبوك منها، اتطعم في دخولها بذنوب لم تذب عنها! أن امرا تنقضي بالجهل ساعاته، ونذهب بالمعاصي أوقانه، لخلق أن تجري دائما دعوه، وحقيق أن يقل في الدجي هجوه.

أعقل الناس محسن خائف، وأحمق الناس سسي آمن. لا يطعمهم البطال في منازل الأبطال، أن لذة الراحة لا تنال بالراحة، من زرع حصد ومن جد وجد، فإلما لا يحصل إلا بالنعب، والعلم لا يدرك إلا بالنصب، واسم الجواد لا يتاله بخيل، ولقب الشجاع لا يحصل إلا بعد تعب طويل.

كاثبوا بالدموع فجاءهم الطاف جواب، اجتمعن أحزان السر على القلب فاوقد حوله الأسف وكان الدمع صاحب الخير فثم.

كيف يفرح بالندبا من يومه يهدم شهره، وشهره يهدم سنته، وسنته تهدم عمره، كيف يلهو من يقوده عمره إلى اجله، وحياته على مونه.

الدنيا في اديار، وأهلها منها في استكثار، والزراع فيها غير التقي لا يحصد إلا الندم والعار.

ويحك! أنت في الغب محصور إلى أن ينفخ في الصور، ثم راكب أو مجرور، حزين أو مسرور، مطلق أو مأسور، فما هذا اللهو والغرور!

ياي عين تراني يا من بارزني وعصاني، ياي وجه تطلاني، يا من نسي عظمة شائي، خاب المحجوبون عني، وهلك الميعدون مني. يا هذا زاحم باجتهادك المتقن، وسر في سرب أهل اليقين، هل القوم إلا رجال طرخوا باب التوفيق ففتح لهم.

الأرب فرح بما يؤتى قد خرج اسمه مع الموتى، الأرب معرض عن سبيل رشده، قد أن أو أن شق لحده، الأرب ساع في جمع خطاهه، قد دنا تشبعت عظامه، الأرب مجد في تحصيل لذاته، قد أن خراب ذاته يا مضيعا اليوم تضيعه أمس، تيقظ ويحك فقد قتلت النفس، وتنبه للسعود فإلى كم نحس، و احفظ بقية العمر، فقد بيعت الماضي بالبخس.

عمت مطلقة في الحرام، وإسائك منبسط في الآثام، ولأقدامك على الذنوب اقدام، والكل مثبت في الديوان.

كانوا يتقون الشرك والمعاصي، ويجمعون على الأمر بالخير والنواصي، ويحذرون يوم الأخذ بالأقدام والنواصي، فاجتهد في لحاقهم أيها العاصي، قبل أن تبتعث المئون.

أنبأوا الشفاء يطليون الشفاء بالصيام، والتصبوا لما انتصبوا الأجساد يخافون المعاد بالمقيا، وحفظوا الألسنة عما لا يعني عن فضول الكلام، وأناخوا على باب الرجا في التجي إذا سجي الظلام، فأتشبوا مخاليب طمعهم في العقو، فإذا الأظفار ظافرة.

يا مقيمين سترحلون، يا غافلين عن الرحل ستفعلتون، يا مستقرين ما تتركون، أراكم متوطنين تاملون المئون وعظ أعرابي أبنه فقال: أي بني الله من خاف الموت يادر القوت، ومن لم يكح نفسه عن الشهوات أسرع به التبعات، والجنة والنار أمامك.

إن النفس إذا أطمعت طمعت، وإذا أقيعت باليسير قذعت، فإذا أردت صلاحها فاحبس لسانها عن فضول كلامها، وغض طرفها عن حرم نظر الناس، وكف فها عن مؤذي شهيواتها، أن تستع أن تسعى لها في نجاتها.

علامة الاستقراج! العمى عن عيوب النفس، ما ملكها عبدا لأع، وما ملكت عبدا الأذل، ميزان العدل يوم القيامة تين فيه الذرة، فيجزى العبدعلى الكلمة قالها في الخير، والنظرة نظرها في الشر، فيا من زاده من الخير نظرة، احذر ميزان عدل لا يحيف.

سمع سليمان بن عبدالمك صوت الرعد فانزع، فقال له عمر بن عبدالعزيز: يا أمير المؤمنين هذا صوت رحمته فكيف بصوت عذابه؟

يا من أجبت أرض قلبه، متى تهب ريح المؤمنين هذا صوت رحمته فكيف بصوت الغافل فيتروى ويئمت. قال بعض السلف: من يرفع الحديث إلى يسمع، وإذا نظرت فاذكر من يرى، وإذا عزمت فاذكر من يعلم.

قال سفيان الثوري يوما لأصحابه: أخبروني لو كان معكم من يرفع الحديث إلى السلطان أكنتم تتكلمون بشيء؟قالوا: لا، قال، فإن معكم من يرفع الحديث إلى الله عز وجل. كلاك مكتوب، وقولك محسوب، وأنت يا هذا مطلق، ولك ذنوب وما تنوب، وشمس الحياة قد أخذت في الغروب فما أقسى قلبك من بين القلوب..

علامات الساعة الكبرى والصغرى

يأجوج وماجوج وخروج الدخان والنفخ في الصور

خروج يأجوج وماجوج

فيهرب المسلمون إلى رؤوس الجبال، ويخرج يأجوج وماجوج لا يتركون أخضر ولا يابسا، بل يأتون على بحيرة فيشربونها عن آخرها (تجف)، حتى يأتي آخرهم فيقول: قد كان في هذه ماء، طبعامكت عيسى في الأرض كان لسبع سنين، كل هذه الأحداث تحدث في سبع سنين، عيسى الآن من المؤمنين على الجبال يدعو الله جل وعلا، ويأجوج وماجوج يعيلون بالأرض مفسدين وفتوا أنهم قد قتلوا وفضوا على جميع أهل الأرض، ويلولون زريد أن تقتل ونقضي على أهل السماء، فيرمون سهامهم إلى السماء، فيذهب السهم ويرجع بالدم فيقتلون أنهم قتلوا أهل السماء «يخادعون الله وهو خادعهم».

نهاية يأجوج وماجوج وموت عيسى عليه السلام

بعد أن يلهوا بمغشهم ويدعو عيسى بن مريم والمؤمنين الصادقين، يرسل الله عز وجل على يأجوج وماجوج دودة أسماها النغف يقتلهم كلهم كقتل نفس واحدة.

فيرسل عيسى بن مريم رجلا من خير الناس لينزل من الجبل ليرى ما حدث على الأرض، فينظر ويرجع يبشر عيسى وعن معه أنهم قد

تغطي بدخان يجحبهم عن الشمس وعن الكواكب وعن السماء، فيبدا الناس (الضالون) بالكباء والاستغفار والدعاء، لكن لا ينفعهم.

حدوث الخسوف

يحدث ثلاثة خسوف، خسف بالشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب خسف عظيم، ينتفع الناس. في تلك الأيام تخرج ريح طيبة من قبل اليمن تنتشر في الأرض وتقضى روح كل مؤمن على وجه الأرض.

تقبض روحهم كالزكاة (مثل العجسة)، فلا يبقى بالأرض إلى شرار الناس، فلا يوجد مسجد ولا مصحف، حتى أن الكعبة ستهدم قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «كأنني أراه يهدم الكعبة بالمقاس»، فلا يجد إلى بيت الله وترفع المصاحف، حتى حرم المدينة المنورة، يأتيه زمان لا يمر عليه إلا السباع والكلاب، حتى أن الرجل يمر عليه فيقول، قد كان هنا حاضر من المسلمين.

في ذلك الوقت لا يبقى بالأرض إلا الظفار والحجار، لا يقال بالأرض كلمة الله، حتى أن بعض الناس يبولون كما تسمع أجدانا يقولون لا إله إلا الله، لا يعرفون معناها، أنتهى الذكر والعبادة، فيتهارجون تهارج الحضر، لا يوجد عدالة ولا صدق ولا أمانة، الناس يأكل بعضهم بعضا ويجمع شياطين الإنس والجن.

ماتوا وأهلكهم الله، فينزل عيسى والمؤمنون إلى الأرض مستبشرين بقتل يأجوج وماجوج وعندها يدعو عيسى ربه بأن يجيئه ويخلصه لأنهم قد أنتنوا الأرض كلها، فأتاني طيور عظيمة فتحمل هذه الحثث، وينزل المطر فيغسل الأرض، لم تثبت الأرض ويحكم عيسى بن مريم حكمه العادل في الأرض، فتثبت الأرض وتكثر الخيرات، ثم يموت عيسى بن مريم.

خروج الدابة بعد هذه الأحداث، تبدأ أحداث غريبة، يسمع الناس فجأة أن هناك دابة خرجت في مكة، حيوان يخرج في مكة، هذا الحيوان يتكلم كالبشر، لا يتعرض له أحد، فإذا رأى إنسان وعقله، وإذا رأى كافر، ختم على جبينه أنه كافر، وإذا رأى مؤمنا ختم على جبينه أنه مؤمن وإن يستطيع تغييره، يتزامن خروج الدابة، ربما في نفس يوم خروجها، يحدث امر آخر في الكون، وهو طلوع الشمس من مغربها حيث يقلل باب التوبة نهائيا، لا ينفع استغفار ولا توبة في ذلك اليوم.. تطلع الشمس لمدة ثلاثة أيام من المغرب ثم ترجع مرة أخرى، ولا تنتهي الدنيا غير أن باب التوبة قد أغلق.

الدخان

وبعدما يحدث حدث آخر، فيرى الناس السماء كلها قد امتلأت بالدخان، الأرض كلها

شبهات وردود من القرآن

كثير من شبهات تنطلق على السنة الناس وخاصة النساء اللائي غاب عنهن العلم بكتاب الله تعالى واللفه في الدين وينظرة بسيطة ستورده بعض شبهات وكيف فندها القرآن الكريم بكملمات مختصرة قليلة البنى عظيمة الأثر والمعنى، وعلى سبيل المثال لا الحصر:
انك تسمع من تقول: «أنا أحب الله وهذا يكفي» نقول لها: «فل أن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله».

وهناك من تقول: أن الدين يسر

نقول لها: «يريد الله بكم اليسر... ولله أمر الله بالحباب للتيسير وتقول: أن الفرج أمر هين، ونقول: «وتحسينه هينا وهو عند الله عظيم».

ونقول:أنني صغيرة وسوف أتجنب عندما أكبر، ونقول لها: أن الموت لا يعرف صغيرا ولا كبيرا.

وهناك من تقول سوف أتجنب بعد الزواج، ونقول: قال النبي صلى الله عليه وسلم « أن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه...» فقد بحرمت الله من الزواج.

ونقول: زوجي لا يرضى الحجاب، ونقول: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».

وهناك من تقول: أتجنب عندما ألقنت بالحجاب، ونقول: «ما كان مؤمن

ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا إن يكون لهم الخيرة من أمرهم».

ونقول: أن الحجاب يعوق عن العمل، ونقول: رضا الله وجنته أغلى من كل شيء.

ونقول: لا أطيع الحجاب في الصيف والحر، ونقول: «قل نأر جهنم أشد حرا».

ونقول: أن طهارة القلب تغني عن الحجاب، ونقول: لو ظهر القلب لاستقامت الجوارح...فقد قال صلى الله عليه وسلم:«إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب».